20 me. année No 992

Le Caire 6 — 7 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٢ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ شوال سنة ١٣٧١ — ٧ يوليه سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الامبراطورية ذات سبعة الارواح

للدكتور عمر حليق

حرب مستعرة فى الهند الصينية الفرنسية ، وثورات عنيفة فى تونس ، وقضية تحمل فى ثناياها الدم والنار فى مراكش والجزائر ، وتيارات قومية تجتاح مدغشقر وممتلكات فرنسا الأفريقية ، وأعباء عسكرية ترهق كاهل الميزانية الفرنسية الآن ، وقد جاء البعث الألمانى بظله المخيف على حدود فرنسا ، وضائقات اقتصادية زعزعت كيان « الفرنك » وأخلت بميزان فرنسا التجارى والنقدى ، فزادت من حدة التوتر الداخلى بين هذه الأحزاب السياسية الكثيرة التى تؤلف البرلمان الفرنسى وتجعل الوزارة الفرنسية أضحوكة الأندية والمحافل السياسية . ويعجبنى هذا العنوان الفكه الذى صدرت به إحدى الجرائد الدائرية أنباء القلاقل فى تونس فى الآنة التى سقطت بها الوزارة الفرنسية سقطات متتابعة خلال بضعة أسابيع ، فقد كان العنوان على النحو التالى :

تونس تشكو من أن الحالة الداخلية فى فرنسا متوترة

هذه المشكلات والأزمات والضائقات التى تواجه فرنسا اليوم ، تدفع المرء إلى أن يتساءل : هل الإمبراطورية الفرنسية فى طريق الزوال ؟

لقد استمع الناس إلى المسيو شومان وزير خارجية فرنسا ، يستجمع كل ما لديه من ظرف ولباقة فرنسية ويناشد الجمعية العامة لهيئة الأمم فى جلسة باريس ، بأن تتريث قليلا قبل أن تدين فرنسا بالعبث بحقوق المراكشيين . ففى جعبة فرنسا خطوط جديدة لسياسة مثالية ، لا لمراكش فحسب ، بل لجميع هذه الشعوب التى تعيش فى ظل العلم الفرنسى

ثم استمع الناس مؤخرا إلى مندوب فرنسا فى مجلس الأمن يعد العرب والآسيويين الذين تبنوا قضية تونس فى مجلس الأمن ، بأن فى حافظة وزارة الخارجية الفرنسية مشروعات مثالية لحل المشكلة التونسية . وكل ما تطلبه فرنسا فترة معقولة من الزمن ، تعد فيه الأمر وتنشر على الناس ما أعدته من أسس جديدة لعلاقة فرنسا بالشعوب الآسيوية والافريقية الخاضعة لها

وقد كان كاتب هذه السطور فى إحدى جلسات مجلس الأمن الأخيرة الخاصة بتونس ، يتحدث إلى صديق من أحد وفود أمريكا اللاتينية (وهى منطقة تربطها بفرنسا روابط روحية وثقافية معينة) وذلك خلال الدفاع البليغ الذى كان مندوب الباكستان فى مجلس الأمن السيد أحمد بخارى يفند فيه مزاعم فرنسا وتأويلاتها عن القضية التونسية ، قال الدبلوماسى اللاتينى وقد تأثر من بلاغة البخارى : « أنتم أيها

العرب والآسيويون على حق فى مؤازرة تونس ، ولكن لم لا تعطون فرنسا الفرصة الكافية لإصلاح ماأفسده استعمارها القديم على ضوء ما وضعته اليوم من سياسة تقدمية تثبت علاقات فرنسا مع مستعمراتها على أساس جديد نبراسه التعاون الصادق والشركة الأمينة فى إطار « الاتحاد الفرنسى » على نحو ما انتهجته بريطانيا فى « الكومنولث » وحلت به أزماتها مع الهند والباكستان والمناطق الأخرى التى كانت ملكا للتاج البريطانى ؟ ويبدو أن « لاتينية » صديق الدبلوماسى كانت أشد من نظرته السياسية ، فقد سارونى محذرا : لا تخطئوا فى قوة الامبراطورية الفرنسية برغم ما أثخنت به من جراح . فهذه الامبراطورية الفرنسية كالقطط لها سبعة أرواح

والواقع أن قسما من الرأى العام فى أوربا وأمريكا يشاطر هذا الدبلوماسى رأيه فى هذه الأرواح المتعددة التى تكمن فى الامبراطورية الفرنسية ! وليس من الصعب أن ندرك سر هذه النظرة إلى حاضر فرنسا . فصناع السياسة الفرنسيين يجندون كل ما توفره لهم ثقافتهم من ظرف ولباقة ومرونة لغوية ومنطقية ، لاقناع الناس بأن فى جعبة وزارة الخارجية الفرنسية حلا جديدا لهذه الأزمات والمضائقات التى تعانيها فرنسا فى آسيا وإفريقيا ، فيما تنشره فى الملأ العالمى من تفاصيل « الاتحاد الفرنسى » الذى تطمح فرنسا بواسطته أن توازى فى الحقوق والواجبات بين سكان فرنسا وسكان المستعمرات والمحميات الخاضعة للفرنسيين

ترى ما مبلغ الصدق فى هذا الادعاء وما حظ هذا « الحل » الفرنسى من النجاح ؟ وهل حقا أن الامبراطورية الفرنسية ذات سبعة أرواح ، أم أنها تمر الآن فى مثل ما مرت به الامبراطوريات فى التاريخ القديم والحديث من رقى وانحطاط

وحقيقة الأمر أن نعرف اليوم أنها أكبر إمبراطورية معاصرة بعد أن تضاءلت ممتلكات بريطانيا فى عالم ما بعد الحرب . فلفرنسا اليوم سيطرة مباشرة على حوالى ٧٧ مليونا من البشر يعيشون فى فسحة من الأرض مساحتها تزيد على ٤ ملايين ميل مربع ونصف ميل ، موزعة على القارات الخمس ، بحيث لا تغيب الشمس عنها . وهذه المساحات الشاسعة مرتبطة بفرنسا بخطوط أصبحت من الوهن بحيث لا يدعمها اليوم إلا الحديد والنار ، سواء فى الهند الصينية الفرنسية أم فى شمال إفريقيا العربية . وفرنسا اليوم برغم اباقتها فى إقناع الناس بأن الاتحاد الفرنسى فى صيغته النهائية سيحل محل الحديد والنار ، كدعامة للروابط الودية بين فرنسا ومستعمراتها وحمياتها ، إلا أن خبراء الشؤون الفرنسية لا يؤمنون بذلك ، ويصرون على أن جوهر سياسة فرنسا الاستعمارية اليوم ، يهدف إلى التخلص والتملص من المستعمرات فى آسيا والمحيط الباسفيكى ، وتركيز الجهد فى شمالى إفريقيا العربية ، وجعلها « امتدادا » جغرافيا للوطن الفرنسى ، وتحويل هذه المنطقة العربية إلى حصن منيع للثقافة والحضارة الغربية ، تحمى فرنسا فيه موات ثقافتها اللاتينية فى أمن ورخاء لا توفرهما لها اليوم الأرض الفرنسية وما يحيط بها من أخطار الهجوم الألمانى والسيطرة الشيوعية» على حد قول كاتب أمريكى خبير بالشؤون الفرنسية فى العدد الأخير من مجلة « عالم الأمم المتحدة »

ولعل هذا يفسر لنا سر هذا التعنت الشديد ، والتحرش الصاخب الذى تعالج به فرنسا مشكلة تونس والجزائر ومراكش ، والقسوة الدبلوماسية العنيفة التى لجأت إليها فرنسا فى مواجهة الدول العربية والآسيوية التى تبنت قضية شمالى إفريقيا أمام الأمم المتحدة

إذن فخرافة « الحل » الفرنسى وفكرة « الاتحاد الفرنسى » وأسطورة الامبراطورية ذات السبعة أرواح ، ليس إلا رمادا تذره فرنسا فى عيون الناس ، لتعميهم عن حقيقة الهدف الذى تطمح فرنسا فى أن تعالج به مآزقها الامبراطورية ، وهو هدف واقعى يعترف بأن الامبراطورية الفرنسية ان تستطيع العيش حتى بسبعة أرواح ، وأنها اختارت أن تقصر قبضتها الشديدة القاسية على أقرب المناطق لها ، وهى شمالى إفريقيا العربية

وإذن فالامبراطورية الفرنسية فى تفكك وانحلال . وعلماء النفس يقولون لك إن المرء حين يعتريه نوع من التفكك والانحلال يميل إلى العنف والقسوة فى أغلب الحالات . ولعل هذا يفسر هذه القسوة العنيفة الشريرة التى تمارسها فرنسا ضد إخواننا الثائرة ، قسوة لا حدود لها ، فقد أهلكت الحراب

الفرنسية فى الجزائر منذ سنوات قليلة ٤٠ ألف شخص من الرجال والنساء والأطفال ، فى حملة « تأديب » واحدة . وحوادث تونس اليوم مثل واضح على هذه القسوة الفرنسية . ألوف من الفرنسيين ، قادة ورعاعا قابعون فى غياهب السجن وقيود الاعتقال ، وحراب سنغالية سوداء تفتك بالنساء والأطفال والرجال ، وكأنما تشهد بذلك حوادث « كاب بون » الأخيرة ، واضطهاد مرير يعانيه المراكشيون ، اضطهاد ومذلة تشهد بها مواخير منطقة « القصبة » فى الدار البيضاء ، حيث يعمرها بنات السادة والأشراف اللاتى شردهن الفرنسيون من جبال الأطلس والمدن المراكشية بعد ثورة الريف والثورات العديدة التى أتت فى أعقابها ولا تزال

ويحب كاتب هذه السطور أن يروى على سبيل المثال حادثة واحدة تشهد على « فضائل » الحضارة الغربية التى تنوى فرنسا أن تجعل إفريقيا العربية حصنا منيعا لها . فقد زرت مدريد منذ بضعة أشهر ، وأثار تطفلى أحد خدم فندق «ريتز» الذى كنت أقيم فيه ؛ فقد كان شيخا وقورا عنى الظهر ، فى عينيه مذلة وانكسار تبعث فى النفس الحنان له والرغبة فى مؤاساته . ولم يكن يعرف أننى عربى ، ولم أكن أعلم أنه من سادة قبيلة جليلة القدر فى جبال الأطلس المراكشية . ولما تم تعارفنا وأنفقنا الساعات يسرد على فيها مأساته السياسية ، وقسوة المنفى والتشرد على كرامته وشيخوخته ، لمحت أنه يخفى سرا لم أستطع استدراجه إلى الحديث عنه فى جلستنا الأولى ، فقد كانت كرامة الرجل وطيب محتده أعظم وأرفع من أن يعترف بسره الدامى إلى صديق عابر

سر وأى سر ! سيد فى قومه يوثق بالقيود ، ويشاهد الضباط الفرنسيين يفتكون بعرض بنته الصغرى ، ويتناولونها الواحد بعد الآخر ، ثم يرمونها كما لو كانت قطعة من العظم إلى الجنود السنغاليين ، الذين كانوا يفتكون بامرأته فى حظيرة الدار . وقد وجد الرجل فى (مدريد) مصدرا للعيش ، ولكنه عيش ذليل ، يزداد مذلة كلما تذكر الرجل أن ابنته الآن عاهر فى ماخور ملحق بمعسكر فرنسى فى الساحل المراكشى . ولولا أن الانتحار محرم على المسلمين لما فضل هذا السيد الوقور الحياة يوما واحدا

ومع ذلك فدعوة فرنسا إلى جعل إفريقيا الشمالية حصنا منيعا للحضارة الغربية تجد — مع الأسف المرير — فى أوربا وأمريكا بعض الآذان الصاغية

وعلى قدر هذه الشناعة الفرنسية يتأجج حماس المغاربة العرب فى تحقيق السيادة القومية والتخلص من الاستعمار الفرنسى . ولذلك فإن كل ما يعترض هذه الحركات الوطنية فى تونس ومراكش والجزائر من عقبات ومصاعب ، لن تقوى على جعلهم حصنا للحضارة الغربية ، فالمسألة ليست مقصورة على كف أعزل يلاطم حربة حادة الرأس ، فجوهر الصراع فى المغرب العربى يستند إلى أعمق ما فى المبادئ من معتقدات خلقية ودينية بالاضافة إلى المبادئ السياسية والاقتصادية . ويبدو أن الامبراطورية الفرنسية قد أخطأت اختيار المكان والزمان لتحويل هذه المنطقة العربية الإسلامية إلى حصن منيع للحضارة الغربية .. فليست هذه هى المرة الأولى التى تواجه فيها العروبة والاسلام هذا النوع من الصراع الخلقى والدينى

ومادامت العروبة والاسلام راسخين فى بلاد المغرب ، ومادام الزمن يخدم الآن الشعوب العربية والاسلامية فى المعترك الدولى ، ومادامت دعائم « الحضارة الغربية » قد طوحت أو كادت تطوح بالوطن الفرنسى نفسه .. فإن زوال الامبراطورية الفرنسية أمر لا مفر منه حتى لو كان لهذه الامبراطورية سبعة أرواح ، فروح واحدة شريفة المبدإ .. صقلتها الآلام والتجارب .. كفيلة بأن تعمر وتشهد هلاك هذه الأرواح السبعة .

بقى أن يشارك العرب والمسلمون إخوانهم المغاربة فى هذا النوع من الصراع «الإمبراطورى» الأمين مشاركة جدية

نيويورك عمر مليحى